# تأملات في فلسفة بارميندس

أ. صاري رشيدة*

***

إن مذهب بارمنيدس** يعد ردا على آراء هيراقليطس، والذي يرى أن الأشياء في الحركة دائمة، وأن الأضداد تتحد لتؤلف الانسجام في الكثرة. وعلى العكس من ذلك ينفي بارمنيدس الكثرة والتغير ويقول بالثبات والوحدة التي تمثل لديه قانون الوجود الحقيقي.
وبعد الافتتاحية التي تناول فيما بارمنيدس رحلته من الظلمات إلى النور قابل الآلهة وسألهم ليكشفوا له الحقيقة كاملة فأرشدته هذه الآلهة إلى العقل ويبدأ بقوله" انظر بعقلك نظرا مستقيما إلى الأشياء فإن بدت لك بعيدة فهي كالقريبة، ولن تستطيع أن تقطع بما هو موجود فالأشياء لا تفرق نفسها تم تجمع فكل شيء واحد من حيث البدء لأنني سوف أعود إلى مكان نفسه"[1] يكشف لنا حوار بارمنيدس مع الآلهة أن هناك طريق للوصول إلى المعرفة وتحديد ماهية الوجود وقسم الفيلسوف هذه الطريق لقسمين إحداهما طريق الحق اليقين والأخرى طريق اللاوجود (اللايقين) أما الآلهة فهي التي ترشد الفيلسوف.

## 1-طريق الحق والوجود الحقيقي:

يقول بارمنيدس عن طريق الحق ما يلي :
هيا بنا إذن سأقول لك أما أنت فاسمع واحفظ كلمتي.
عن تصور طريقين الوحيدين في البحث.

---

* - أستاذة بقسم الفلسفة/ جامعة وهران.
** - بارمنيدس فيلسوف يوناني ولد 515-510 ق.م.
1- محمد الخطيب: الفكر الإغريقي، منشورات علاء الدّين، دمشق، الطّبعة الأولى، 1991، ص111.

الواحد بموجبها يكون ولا يمكن أن لا يكون.
هي طريق الإقناع لأنها تتبع الحقيقة.
الأخرى بموجبها لا يكون واللا كينونة ضرورية.
هذه الطريق أقول لك هي سبيل الجهل التام.
لأن اللاكائن لن تستطيع معرفته هذا مستحيل.
ولا الإفصاح عنه.
الفكر والكينونة متساويان (1).

تكشف لنا هذه الأبيات أن بارمنيدس تحدث عن طريقين للوصول إلى المعرفة : "الطريق الأول هو أن الوجود موجود ولا يمكن أن يكون غير موجود"[2] إنه طريق الحق وهو طريق المعرفة العقلية لأن الإنسان إذا فكر وتأمل في الوجود سيجد أنه موجود حقا.

ومعنى هذا أن الشيء لا يمكن أن يخرج من ضده، لأن ذلك مناقض للفكر والعقل السليم لأن الموجود لا يحمل في طياته ما هو ضد له ومثال على ذلك أن الحار هو عدم البارد، فإذا وجدت حرارة فلا يمكن للبرودة أن تجتمع معه في شيء واحد. فالحرارة هي فقدان البرودة وهكذا فيما يتعلق بالأضداد جميعا.

أما الطريق الثاني فهو طريق اللاوجود وهو غير موجود ومن ثم لا يمكن التفكير فيه أو البحث عنه ولكن هذا لا يعني " أن هذه الطريق مستحيلة العبور، إنها لا تؤدي إلى الحقيقة ولذلك

---

2- ميشلين سوفاج: برمنيدس ترجمة د. بشارة صارجي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الأولى 1981 ص54 ( المقطع 11-111 ).

2- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، لبنان، ص28.

فالموجودين فيها هم في جهل وضلال » [1] وهذا بالضبط ما يفعله الأينيون إذ يفترضون "وجود مادة أولية هي وليست هي في آن معا ما يشتق منها، مادة أولية هي ومنتجاتها شيء واحد دون أن تكون وإياها شيئا واحدا وهذا بالضبط ما يفعلونه بافتراضهم أن الأشياء تولد وبتسلمهم بوجود طبيعة (physis) التي تنمي الموجودات، إذ ما ليس بموجود لا يمكن أن يأتي منه ما هو موجود » [2].

ولكن بالرغم من أن بارمنيدس يقول أن الوجود كائن واللاوجود غير كائن إلاّ أنه عندما يعلن ويصف الوجود بصفة بفضل الرجوع إلى اللاوجود وهذا يعني اقتران الوجود باللآوجود ويقرر الفيلسوف أيضا أن الوجود واللاوجود ضروريان معا. قاصدا بذلك اتخاذ موقف إزاء الواحد والآخر ويتمثل هذا الموقف في قبول الطريق الأول ورفض الطريق الثاني.

وهكذا يطلب منا الفيلسوف الاختيار إما الوجود وإما اللا وجود وذلك لأنه يستحيل إعادة وجود الموجود انطلاقا من اللاوجود « لن يحدث أبدا أن تضطر اللاكائنات إلى أن تكون » [3].

لأن هذه الطريق ليست سوى مسلك يتيه فيه العقل، وبما أن العقل لا يستطيع أن يتخلى عن الوجود يجب عليه إذن أن يتخلى عن اللاوجود. وعلى الإنسان أيضا أن يبتعد عن الطريق

---

**[1] - J. Brunschwing G Lioyd : le savoir grec, dictionnaire critique, Flammarion, P 722.**

**[2] -إميل برهييه: تاريخ الفلسفة اليونانية، ت. جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ص83.**

**[3]- ميشلين سوفاج : برمنيدس، المقطع VII البيت الأول ص 56.**

التي يسلكها الفانون الذين لا يعرفون شيئا،"فالناس ذو الرؤوس المزدوجة (Hommes à deux têtes) مندفعون بلا قرار وفي منظورهم الذات وما ليس بالذات شيء واحد" [1].

وهكذا يتضح أن هناك ثلاثة طرق في القصيدة لا طريقان كما قال الإلياتي لأنه يتحدث عن طريق الوجود وهي طريق الحق ثمّ طريق اللاوجود أو العدم ثمّ هناك طريق الظن ( Doxa) دوكسا.

ولكن ماذا يقصد بارمنيدس بـ " الرؤوس المزدوجة " هنا اختلف المفسرين في تحديدها، فالبعض فكروا في" هيراقليطس الذي عاصر بارمنديس وخاصمه لأن الأفيزي يتحدث عن الأضداد المتجابهة التي ينتج من صراعها الانسجام. وفكّر البعض الآخر في كل الفلاسفة الأيونيين والفيتاغوريين. وآخرون أيضا قالوا بالإنسان المتأثر بأحاسيسه، ومهما كانت الأشخاص المعنية بالعبارة، يظهر أن الفيلسوف يعيب على هذه الطريقة أنها تفسير خاطئ للمظاهر المحسوسة "[2].

وبعد هذا التحديد يساوي الإلياتي التفكير مع الوجود ويؤكد على أن " الفكر قائم على الوجود ولولا الوجود لما وجد الفكر"[3] إنهما متطابقان فالوجود هنا هو الوجود المعقول أي المفكر فيه، " إنه يجمع بين العارف (أي العقل المفكر) والمعروف أي الوجود بمعنى آخر بين المدْرِك والمدرَك بين العاقل والمعقول "[(4)]. فالفكر لا يختلف عن الوجود لأنه ليس إلا فكر الوجود "واللوغوس (أو العقل) هو حديث

---

[1] **-J. Brunschwing G lioyd : le savoir grec, P 725**

[2] **- Ibid, P 725.**

[3] **- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص.29.**

[4] **-مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، الجزء 1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص 191-193..**

الوجود عقل وكلمة ينشئ هذه المسؤولية فاللوغوس وهو مساو للوجود حيث ينمو بمثابة حديث عن الكيانات « يضع دفعة واحدة مساواة الموجودات مع الوجود داخل فكرة هي كلمة لأنه بدون الكائن الظاهر بالكلمة لن تستطيع أن تجد التفكير »[1].

نستخلص من هذا أن العقل هو الإدراك الوحيد الصادق لأنه هو الذي يمكننا « من التعرف على الوجود الغير المتغير في كل شيء. أما الحواس التي ندرك عن طريقها ظواهر الكون والفساد والتغير هي مصدر الخطأ »[2].

وعندما وصف بارمنيدس الوجود شبّهه بالكرة وأعطاه رموز التي تشير إلى الاتجاه وتحدد مميزات الكائن وقال من المقطع VIII من النشيد ما يلي :

1. « لا يبقى إلا طريق واحدة للكلمة.
3. لكونه لا مولود إنه لا فان أيضا.
4. ولأنه سليم في كل أعضائه، بدون قلق وبدون نهاية.
5. ما كان أبدا ولن يصير لأنه الآن كله مساو لذاته.
6. واحد متصل.
26. علاوة على ذلك لا متحرك بين حدود ربط شديدة.
27. إنه بدون بداية ولا نهاية لأنه الولادة والفساد.
28. أبعد عنه بشكل مطلق.
32. لذلك تقضي العدالة بأن لا يكون الكائن غير مكتمل.

---

[1] - ميشلين سوفاج: برمنيدس، ص87 وأنظر أيضا المقطع VIII البيت 34.

[2] - حمد على أبوريان: تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة اليونانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 90.

42. وأيضا لأن الحد هو الطرف، إنه مكتمل.
43. من كل الجهات، شبيه بانحناء كرة الفلك الجميل.
44. متساو في كل الاتجاهات انطلاقا من المركز: إنه لا يجوز أن يكون هنا أوهناك أكبر أو أصغر.
47. له من كل الجهات المقياس ذاته كنفسه، إنه إذن متساو وضمن حدوده »[1].

إن حديث بارمنيدس عن الوجود هو موجود معقول لأنه وصف الوجود كالتالي : إنه كل وحيد التركيب. وأضفى عليه صفات أخرى لكنها كلها سلبية، فقال لا يكون(in engendré) ولا يفسد (impérissable) لا بداية له ولا نهاية ولا ينقسم (متصل) لأنه هو هو في كل مكان ولا يمكن أن يوجد ما يقسمه ولا يتحرك ( ثابت).

إن هذه الصفات إذا ما تأملنا جيدا لوجدنا أنها تنفي الوجود المحسوس المادي، لأن الوجود المادي يناقض هذه الصفات التي وصف بها بارمنيدس وجوده.

ومن جهة أخرى قال أنه متناهي (limité ) لا يقسمه شيء فهو كامل من كل الجهات، لذا شبه الوجود بالكرة المتساوية الأبعاد من المركز حتى الأطراف، ومن الأشكال كلها هي الأكثر كمالا والأوفر تشابها مع ذاته فهي في آن واحد الشكل المغلق والقابل للشمول وليس لها بداية ولا نهاية إذن " هي وحدها التي تتوفر فيها شروط ما هو موجود فهي غير مخلوقه غير قابلة للتدمير متصلة ساكنة متناهية وهكذا فالوجود عند بارمنيدس ليس إذن تصورا مجردا ولا صورة حسية إنّما هو صورة هندسية ولدت من الاحتكاك بالعالم

---

1- ميشلين سوفاح: برمنيدس، مقطع VIII ، ص 55 - 56 - 57.

الفيتاغوري »[1] ذلك لأنه بارمنيدس يأخذ من مدرسة الفيتاغوريين الكرة « التي بها تحد الكوسموس، وينقل دلالتها إلى المجال الانطولوجي »[2].

إن مذهب الإلياتي هو الذي جعل أرسطو وأفلاطون يعتبرانه " أب الميتافيزيقا " ويقدره أرسطو أكثر لأنه « تصور الكائن الواحد حسب العقل لا حسب المادة »[3]. فنظرية الفيلسوف تعاكس الاعتقادات التي كانت موجودة عند اليونانيين والتي ترى أن كل شيء مشتق من عنصر أساسي.

وبهذا إن مذهب بارمنيدس عن الوجود يقوض تماما في رأي برهييه « الآراء اليونانية حول العالم وطبيعته المادية المتناقضة كثيرة التحول لأنه ينفي واقع التحولات والتغيرات ويعتبرها مجرد مظاهر، كما أنه يعارض المذهب الهيراقليطي القائل بتولد الإنسان من المادة وصيرورتها وانفصالها واجتماعها بالتناوب إن كل ما زعم هيراقليطس أنه يقتبسه من التجربة الحسية المباشرة الكاشفة عن حركة الأشياء الدائمة وصيرورتها وتغيرها وتناقضها، إنما ينفيه بارمنيدس باسم العقل إذ تكمن جدة فكرة بارمنيدس في هذا المنهج العقلي »[4].

ورغم تقدير أرسطو للفيلسوف إلاّ أنه يوجه نقدا إلى الإيليين يتمثل في عدم تمييزهم بين الطبيعة وما بعد الطبيعة وأنهم كانوا

---

1– اميل برهيية : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص84.
2- ميشلين سوفاج: برمنيدس، ص95.
3- J. Brunschwig , G.lioyd: le savoir grec, P 726.
4- J. Brunschwig G. Lioyd : le Savoir Grec, P 726.

يتحدثون عن الطبيعة من زاوية ميتافيزيقية بينما يجب التكلم عنها من زاوية فيزيقية وأنهم شرحوا كل الأشياء بواسطة العقل وحده.

وتعترض م. سوفاج على ما قاله أرسطو لأن قصيدة بارمنيدس بها هذا التمييز بين الحديث في ما بعد الطبيعة (métaphysique) والحديث في الطبيعة (physique) لأن « عنوان النشيد هو(peri-physeos) في الطبيعة وهو حديث مزدوج عن الطبيعة فهو انطولوجي (ontologique) أي ميتافيزيقي من جهة وكوسمولوجي (cosmologique) أي عن الكون والطبيعة من جهة أخرى » [1].

لكن هل يمكن اعتبار الحديث الكوسمولوجي بمثابة علم الظواهر ؟.

إن كل المفسرين اتفقوا على احتقار الدوكسا " الرأي " ولكن الرأي هو على ارتباط حميم مع الحقيقة إنه على تضاد مستمر معها وهو ليس سوى طريق البحث الثالثة.

وهكذا يمكننا القول أن الحديث الكوسمولوجي ليس مضاد للحديث الأنطولوجي « إذ تلجأ الآلهة إلى لعبة " المع والضد " ولكنهما يتعارضان كوجهي حديث واحد عن الطبيعة »[2].

ونحن مضطرون أن نتبع طريق الظن ( la voie du doute ) لأنه طريق الظواهر المحسوسة على اعتبار « أن الأشياء واحدة في العقل كثيرة في الحس »[3].

**طريق الظن وفلسفة بارمنيدس الطبيعية:**

---

1 - **ميشلين سوفاج: برمنيدس، ص 74.**
2- **نفس المرجع السابق ، ص75.**
3- **يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 29.**

يعرض بارمنيدس في القسم الثاني من النشيد أراء معظم الناس وهو طريق الظن حيث يظهر فيه الشيء تارة حاضرا وتارة أخرى غير حاضر، يمثل ثم لا يمثلن إنه طريق الذي يمثل فيه « الوجود واللاوجود في آن واحد، وهو يعلم أن هذا الطريق معارض للعقل، ولكنه يعلم أيضا أنه أهون عند العقل من طريق الذين يعتقدون أن الوجود واللاوجود شيء واحد، ثم أنهما ليسا شيئا واحدا »[1].

ويؤكد سبليسيوس (simplicius ) ذلك عندما يذكر أبيات بارمنيدس، لأن القسم الثاني من القصيدة يعرض فيها الرأي بعد الحقيقة. إن الدوكسا (doxa ) البارمنيدية ليست مجال الخطأ بل هي مجال محسوس على اعتبار أنها مؤسسة على الحقيقة المعقولة.

وهكذا إن أبيات بارمنيدس بالنسبة لسبليسيوس « ليست مجرد أراء خاطئة لا يجب تقبلها أو علينا بنقدها، إنها في المجال الحسي ما ينجم عن الحقيقة »[2].

وفي نفس السياق يذهب أرسطو(Aristote) إلى القول أن بارمنيدس كان مفكر التكوين (genesis) والكون (cosmos) لأن الفيلسوف بعد أن قال بوحدة الكائن (l'unité de l'être) فكر من ازدواجية الأسباب لفهم العالم ويقول أرسطو في كتاب الميتافيزيقا (Métaphysique) ما يلي: "من الذين يثبتون وحدة الكل (l'unité de tout) لم يتوصل أحدهم إلى تصور السبب الفاعل (cause

---

[1]- **يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص29.**

[2]- **J. frère : Parménide et l'ordre du monde dans Pierre Aubenque, étude sur Parménide, Tome II, Edi. J. Vrin, 1987, P 193-194.**

efficiente) باستثناء بارمنيدس لربما وأيضا من حيث يفترض وجود لا سبب واحد فحسب بل سببين بمعنى ما »[1].

وفي المعنى نفسه يقول أرسطو في فقرة أخرى من كتابه « " لاعتبار بارمنيدس " انه خارج الكينونة (l'être ) لا توجد لا كينونة ( non être) فهو يفكر بأن ما يكون هو بالضرورة الواحد ولا شيء آخر ولكنه لاضطراره على ملاحظة الظواهر، والتسليم بالواحد ( l'unité) بموجب حديث العقل وبالكثرة (pluralité ) بموجب الإحساس، فهو يستعيد موقفه ويثبت ثنائية الأسباب والمبادئ (deux causes, deux principes ) ويعلن أنهما الساخن والبارد ( Chaud et le froid) ويقول آخر النار والأرض ( feu et la terre) »[2].

ومن هنا نستنتج أن أرسطو ينظر إلى بارمنيدس على أنه لم يكن فقط مفكر الكينونة(l'être ) بل كان أيضا مفكر التكوين (Genesis) وتعدد الظواهر والمحسوسات. لكن ماذا يقصد الفيلسوف بكلمة الظن (doxa $\delta$ ό $\xi\alpha$ ) ؟.

قدم (Taran) تفسير لدوكسا البارمنيدية و« قال أنها مذهب بارمنيدس بصدد عالم الظواهر (Monde Phénoménale)، وقال أيضا أن العالم الدوكسا هو اللاكينونة المطلقة (non être absolue ) نستخلص من هذا أن (Taran)

---

**[1]- Ibid, P 195.**

**[2]- Aristote : la métaphysique Trad J Tricot, Edi J. Vrin, Tome II A5 986b, 1991, P49-50**

نظر إلى الدوكسا البارمنيدية وكأنها رأي الآخرين أوأنها خطأ جوهري »[1].

إلاّ أن هذا التفسير خاطئ لأن الايلياتي أراد أن يميز بين ما يجب إبقاءه من أحكام الآخرين وذلك ليعرض رأيه الخاص حول العالم.

وهكذا فالمقصود بكلمة الظن هي " الكلام عما في طريق الظن من موضوعات بحيث أنه يجب ترجمة الكلمة اليونانية ( دوكسا) لا بأني أظن كذا بل بأن ما يبدو لي هو كذا، بمعنى آخر أن طريق الظن هو طريق الظواهر، والمقصود بالظن هو إذن موضوع الظن أو المظنون، ويكون طريق الظن في النهاية هو طريق المظنونات »[2]

وكل ذلك يدفعنا إلى القول أن الدوكسا (doxa $\delta$ ó $\xi\alpha$ ) ترتكز على الاحتمال (vraisemblable ).

ولقد أعلن الايلياتي بترابط مستويين من المعرفة، إذ يوجد " معرفة أكيدة (connaître du certain ) ويوجد أيضا علم الاحتمال أو الظن (un savoir du vraisemblable) الذي لا يتطابق مع اللاحقيقة (Non vérité) »[3].

وإذا تساءلنا عن طريق الظن الذي يعرفه جميع البشر لأجابنا بارمنيدس بما يلي :

---

1- J. Frère : Parménide Et L'ordre Du Monde, P 204-205.

2- نجيب البلدي : دروس في تاريخ الفلسفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، 1997، ص 26.

3-J.Frère : de la phusis selon Parménide, in la nature, 26 iéme congrès de L'ASPLF, Lausanne, 1996, P 393.

50. " هنا أضع لأجلك نهاية الحديث الجدير بالإيمان وللفكرة.
51. التي تضم الحقيقة : تعلم من هان الآراء المائتة.
52. باستماعك إلى التنظيم الخداع في أقاويلي.
53. لقد تعود البشر تسمية صورتين.
54. ومن الصورتين يجب تسمية واحدة فقط، وفي هذا أضلوا السبيل.
55. وعلى النقيض ( بعض المائتين) ميزوهما إلى طبيعتين ونسبوا إلى كل واحدة علامات، تفصلها عن الأخرى.
56. من ناحية نار اللّهبة الأثيرية (éthéré en flamme ).
57. نار لطيفة، رقيقة، متجانسة مع ذاتها من كل الجهات.
58. ولكنها غير متجانسة مع الأخرى، من ناحية أخرى ما هو في ذاته نقيض النار.
59. الليل المظلم طبيعة كثيفة وثقيلة.
60. أريد أن أقول لك ترتيب الكون القابل للتصديق بكليته.
61. كي لا يتفوق عليك أبدا أي حكم من المائتين "[1].

إن القسم الأول من النشيد تحدث عن الكائن الذي يظهر وكأنه كلام، فكر أو حقيقة، إنه الحديث الحقيقة والجدير بالإيمان ولكن من بداية البيت واحد وخمسين (51) يظهر أمامنا طريق آخر لأن الفيلسوف يطلب منا أن نتعلم من آراء البشر.
ولكن ماذا نتعلم من التنظيم الخداع ؟.

---

**[1]- ميشلين سوفاج : برمنيدس، ( المقطع VIII 50-61)، ص 58 - 59. وانظر أيضا :**

**J. frère : Parménide et l'ordre du monde, P 211-212.**

يقول بلوتارك (Plutarque) أن بارمنيدس شكل نظام العالم بمزج العنصرين هما النور والظلام وشكل من خلالهما كل الظواهر وقال أشياء كثيرة فيما يخص الأرض، السماء، الشمس، القمر والكواكب. أما عن الطبيعة فرأى أنها « من جهة مؤلفة من شيء يدرك بالرأي ومن جهة أخرى من شيء معقول" أما ما يمكن فهمه بواسطة الرأي فهو غامض فيه الكثير من التغيرات من جراء الفساد والنمو(corruption et la croissance ) وهو يختلف من شخص لآخر وليس نفس الشيء عند نفس الإنسان، وذلك بسبب اعتماده على الإحساس. وبالتالي إن الحديث عن الكائن في وحدته لم يلغي الأشياء المتعددة والمحسوسة بل وضح اختلافها بالنسبة لما هو معقول »[1].

وأما في البيت الثاني والخمسين (52) تحدث بارمنيدس عن التنظيم الخداع وهنا نطرح السؤال لماذا الخداع ؟

للوصول إلى العالم (cosmos ) طلب منا الايلياتي أن نستمع إلى الحديث (apatelos) التي نترجمها بـ ó ς α[2] πατηλ (trompeur) " خداع " لكن هذه الترجمة ليست صحيحة.

لأن ó ς πατλ 'A تعني « أنه قابل للخداع susceptible ) de tromper) وهي تختلف عن الخداع ورغم ذلك يطلب منا بارمنيدس أن نستمع إلى الحديث مزدوج الذي نجد فيه الصحيح والخاطئ وهو حديث بعض البشر »[2].

نستنتج من القصيدة أن الأبيات (50-52) توضح لنا وضعية الموجودات (étant) ومكونات الشيء.

---

1- Ibid, P 199-200.
2- Ibid, P 201-202.

أما الأبيات التي تلي ( 53-54) فينتقد فيها بارمنيدس فلسفات الطبيعة السابقة فهو « لا يأخذ بمبدأ مادة أولية، بل يقول بوجود زوج من حديث متعارضين هما، الليل والنهار أو النور والظلام، وهذه المصطلحات تعيد إلى الأذهان الخيال الهزيودي ( la fantaisie hésiodique) أكثر مما تذكرنا بالوضعية الأيونية، أما زوج الأضداد فسمة من سمات الفكر الفيتاغوري »[1] الذي عارض بين ( العدد الفردي، والعدد الزوجي ) وفكر هيراقليطس الذي قال بصراع الأضداد.

أما البيت الرابع والخمسين (54) فاختلف المترجمين في ترجمته فحسب (Diels) "تسمية واحدة من الاثنين فقط هذا غير مسموح به وفي هذا أضلوا السبيل ". أما (Diels - Kranz ) « من الصورتين لا نستطيع تسمية واحدة منفردة وفي هذا أضلوا السبيل " وأما (Taran ) " وحدة من هذه الأشياء ليست ضرورية وفي هذا أضلوا السبيل »[2].

إن ما يريد توضيحه الفيلسوف، هو أن الخطأ الذي وقع فيه الأيونيون هو أنهم وضعوا مبدأ واحد، ومهما تكن الترجمة الصحيحة

---

1- أميل برهييه : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 84.

2-Diels traduit " Nommer seulement une des deux ceci n'est pas permis en ceci ils se sont trompés" Diels-Kranz disent " de ce deux formes ou ne pourrait pas nommer l'une toute seul dans ce point de vue il en sont venus à l'errance" TARAN " une unité de ces choses n'est pas nécessaire : c'est en quoi ils se sont égarés" dans J. Frère Parménide et l'ordre du monde, P 204.

للبيت (54) فالخطأ حسب بارمنيدس هو أن نفترض صورتان متعارضتين، وأن نكتفي بصورة واحدة كما فعل الأيونيون (Ioniens ) وتتمثل الصورتان المتعارضتان التي وضعها البشر في عنصرين طبيعيين وهما ( النار والأرض) فالنار تشير إلى النهار - ( النور- lumière ) عنصر سماوي رقيق لطيف متجانس. أما الأرض فهي عنصر ثاني جسم ثقيل أشبه بالليل المظلم، والعنصران متعارضان تنصح الإلهة (déesse) تسمية إحداها فهل هذا يعني أن العنصر الأول (النار) هو رمز الوجود والكينونة، وهو الصورة التي ينبغي التمسك بها حتى نصل إلى الحق ؟ أما العنصر الثاني ( الأرض) هو رمز اللاوجود، ومن ثم فهو العنصر الذي ينبغي أن نمسك عن الحديث عنه لأنه أشبه بالليل المظلم وسيبعدنا عن النهار والوضوح والحقيقة الموجودة في العنصر الأول ؟.

« الحقيقة أن الحديث هنا غامض لأننا الآن في طريق الظن، والظن تشكيك وخلط تغيب فيه الحقيقة »[1].

ويبدو لنا من هذه الأبيات أنها إثبات الرأي المعروض من طرف الإلهة (Déesse) ورغم أن الرأي خاطئ ( لسبب التعارض الواضح بين الحقيقتين)، « إلا أنه يبقى أحسن تفسير الذي يستطيع تقديمه البشر للمظاهر المحسوسة »[2].

والأضداد بعيدا عن أن تدل على التعارض فهي تبين التواجد المنسجم والمكمّل coexistence harmonieuse et complémentaire) ) للأضداد. « وكي لا يتفوق عليك أي حكم من

---

[1]- مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ص 195.
[2] -J.Brunschwig- G.Lioyd : le savoir grec, P 727.

المائتين لا يوجد في طريق الاحتمال (vraisemblable) إلا طريق واحد وهو طريق الثنائية الكونية (dualisme cosmique ) »[1].

« إذن لأن لكل الأشياء اسم هو نور وليل.
كل شيء هو مليء بالتساوي من نور ومن ليل بلا نور،
الواحد منهما بمقدار الأخر. لأن لا شيء مضاف إلى إحداهما »[2].

من هذا المقطع يمكننا القول أن التفسير الحقيقي للأشياء المحسوسة الظاهرة هي أن جميع الأشياء هي مزيج من عنصرين متناقضين إحداهما إيجابي وآخر سلبي وهما النور والليل ولم يكتفي بارمنيدس بتحديد العنصرين بل قدّم نظرة حول الكون وعن مصدر كل الأشياء ويقول بهذا الصدد ما يلي:

« سوف تعرف الطبيعة الأثيرية وكل الإشارات في الأثير،
وعن بهاء الشمس، واشتعالها النقي،
الصنائع الملتهمة ومن أين تأخذ اصلها،
وسوف تعلم أيضا صنائع وطبيعة القمر ذي العين المستديرة،
الذي يدور حولها، وتعرف أيضا السماء التي تغلف كل شيء.
من أين تخرج، وكيف أن الضرورة التي تحكمها قيدتها
لتحرس حدود الكواكب »[3].

---

1 - **J.Frère : Parménide et l'ordre du monde, P210.**

2- **ميشلين سوفاج: برمنيدس، المقطع IX، ص 59.**

3- **المرجع نفسه، المقطع X ، ص 59.**

تحدث بارمنيدس في هذا المقطع عن الأصل الأشياء، وقدم تفسير للطبيعة(nature phusis) التي تختلف في معناها عن البروز والظهور(éclosion ) لأن الأمر متعلق بالنباتات كقولي " تفتح الوردة" وبما أن الأمر يتعلق بأصل الأشياء المحسوسة فهي تدل على نبوع وظهور(jaillissement ) وعلى الانبثاق (émergence ) « إن فلسفة بارمنيدس الطبيعية تتحدث في نفس الوقت عن " الأصل وصيرورة "(l'origine et le devenir) المحسوسات وباختصار عن التحركات الزمنية للأشياء المحسوسة ولهذا السبب لا نستطيع دمج اللاكينونة (non être) أو الكائن الواحد (être un ) »[1].

وهكذا فالمقاطع المتبقية من قصيدة بارمنيدس تتحدث كلها عن المظاهر المختلفة لهذا النبوغ وانبثاق الأشياء المتغيرة ويبدو من المقطع (X) أن الأثير (éther) هو العنصر الذي يشكل السماء التي تغلف كل شيء النجوم، الشمس، القمر وكل الكواكب. « وتتحدث قصيدة بارمنيدس أيضا عن أكاليل أو حلقات (couronnes ) وهي عبارة عن دوائر أو كرات مصنوعة إما من عناصر أومن مزيجها بعض الأكاليل ضيقة ومليئة بالنار وأخرى لاحقة مليئة بالليل وممزوجة باللهب وفي وسط هذه الحلقات تسود الآلهة »[2] :

« إن الأكاليل الأكثر ضيقا هي مليئة بالنار اللاممزوجة،
أما الأكاليل اللاحقة فهي مليئة بالليل، ولكن على فترات ينطلق بعض اللهب،
في وسطها الآلهة التي تسود على كل الأشياء
لأنها تأمرها كلها بالولادة الرهيبة وبالاتحاد

---

1 -J.Frère : de la phusis selon Parménide, P 395.
2- J. Brunschwig G.Lioyd : le savoir grec, P 728.

دافعة الأنثى إلى الاتحاد بالذكر وبالعكس الذكر بالأنثى
حملت بإيروس، الأول بين كل الآلهة »[1].

وهكذا لا يخلوا العالم المادي المحسوس عند الايلياتي من الآلهة لأن وسط الأكاليل تدبر الآلهة جميع الأشياء، ذلك لأنها أصل كل تناسل وهي التي تدفع بالأنثى للائتلاف مع الذكر وتدفع الذكر للصلة بالأنثى وأول ما أبدعته الآلهة هو ايروس (éros) إلاه الحب ونشوء( dieu d' amour et de génération ).

ونستنتج من كل هذه المقاطع أننا أمام كوسمولوجيا عظيمة لأنها نظرت إلى الكون وكأنه « نسق كرات مندفعة نحو المركز ( sphères concentriques) مكونة من حقيقتين متعارضتين يحكم النسق إلاه الذي بواسطة اتحاد وامتزاج المتعارضتين يشرف على كل الأجيال (génération) »[2].

وما نلاحظه من خلال هذه الأبيات أيضا أن مصير الإنسانية يحدث في المجال الحسي ومن قصيدة بارمنيدس نستخلص أننا لا نستطيع التمييز بين الفيزياء (physique) والتيولوجيا (théologie) ولم يقصد الفيلسوف بالمظاهر ( dokounta apparence) « الوجود المجرد أو العدم (néant) بل هي عبارة عن مظهر الذي علينا أن نعرف كيف نفسره ونكشف رموزه دون أن ننسى ما قيل عن الكينونة (être) واللاكينونة (non être) »[3].

---

**[1] – ميشلين سوفاج : برمنيدس، المقطع XII ، ص 60.**

**[2] -J. Brunschwig G.Lioyd : le savoir grec, P 728.**

**[3] - Denis Huisman: Dictionnaire des philosophes, P.U.F, 1e édition, 1984, P 2002.**

ويواصل بارمنيدس حديثه عن المحسوسات ويتناول في المقطع السادس عشر (XVI) العلاقة الموجودة بين طبيعة أعضاء جسم الإنسان وطراز تفكيره ويقدم الفيلسوف وجهة نظر تتمثل في أن الفكر المكون من مزيج لمبدأين متناقضين ولهذا السبب يمكننا معرفة الوقائع المختلفة المشكلة من نفس المزيج. ويؤكد في نفس المقطع على أهمية العقل لأن ما يسطر في النهاية هوالفكر ويقول بهذا الصدد :

« وفقا للمزيج الخاص بكل جسم تحييه حركة لا تتوقف،
يأتي العقل إلى البشر، لأن هذا هو
الوعي عند البشر، المكون انطلاقا من الجسم
في الجميع وفي الكل: وما يسيطر فهو الفكر »[1].

أما في المقطع الأخير ( المقطع XIX ) يعود بارمنيدس ليؤكد ثانية على أن كل ما سبق من حديث في عالم الظن كان حسب آراء البشر، بمعنى آخر أن الحديث لا يعبر عن الواقع الحقيقي، بل هو إلا عالم المظاهر المحسوسة (apparences sensibles). وفي « نفس الوقت تؤكد الإلهة (déesse) على هذا التفسير هو الأكثر احتمالا للأصل (origine) ولطبيعة هذه المظاهر وأيضا للتسمية التي أعطاها البشر لكل الأشياء »[2].

نستنتج من نفس المقطع ( مقطع XIX ) أن بارمنيدس يلجأ إلى وضع الفعل « انبثق ظهر "jaillir " في المكان المناسب بما انه صفة أساسية للمحسوسات في كليتها. وحسب الظن (doxa) التي تدرك كمعرفة للصائر (savoir du devenant) وليست كفكر

---

[1] – **ميشلين سوفاج : برمنيدس، المقطع XVI، ص 60-61.**

[2] - J.Brunschwig : G.Lioyd : de savoir grec, P 729.

أبدي (pensée de l'éternel) انبثق(jaillir) هي أن نتفتح على الوجود (être) على الوجود الصائر في شمولية أنه خاصية للكون»[1] :

« هوذا إذن كيف حسب الرأي تحصل هذه الأشياء وتستمر الآن، ومن الآن في تتابع الأزمنة ستعرف الموت بعد النم. نسب الناس إليها اسما يتعلق بكل منها، دلالة عليها »[2].

ومن هذا يمكننا القول أن الطبيعة عند الالياتي مرادفة لكلمة (Aleteia) التي نترجمها نحن بكلمة حقيقية (vérité) لكن هذه الترجمة تبعدنا عن المفهوم الحقيقي لأن (Aleteia) تتركب من A في البداية وتدل على النفي ثم كلمة Léthé وتدل على الخفاء، أو ما هوخفي ويكون معنى الكلمة اليونانية انكشاف الخفي أو الوجود باعتباره منكشفا لأن هدف الفيلسوف من القصيدة هو أن يصل إلى حقيقة الأشياء.

ومن هنا نستخلص أن القصيدة في قسمها الثاني، لم تكن نقدا لآراء البشر بل هي عبارة عن نظرة إجمالية لمذهب بارمنيدس، « حول الأجسام الطبيعية، وللطبيعة كشيء حيوي، ظاهر منبثق، تحت إشراف إله الاختلاط " إله الحب ايروس éros " »[3].

وإذا رجعنا إلى البيت الأول " الوجود كائن واللاوجود غير كائن " فالحكمة التي نستخلصها من هذا البيت لا تعبر عن حكمة بارمنيدس كلها، بل إنها تعبر فقط عن النور الذي يهتدي به الحكيم من أجل فهم عالم الظواهر، هذا العالم الذي نعيش فيه جميعا ولا نخرج منه إلا للموت. إنّ هذا العالم هو في نهاية الأمر هو الموضوع

---

1 - J. Frère: de la phusis selon Parménide, P 396.

2- ميشلين سوفاج: برمنيدس، المقطع XIX، ص 61.

3- J. Frère: de la phusis selon Parménide, P 396.

الوحيد للتفكير الحكيم. وتتمثل علامات هذا الوجود في الظواهر التي يتجلى فيها الوجود، هذا الوجود الذي يفتح عين العقل. « إن هذه الظواهر تتعرض مع ذلك للعدم، كما أنها تتغيرن وعلى ذلك فإن الوجود الظاهر، أو بعبارة أفضل أن الكائن الظاهر صائر، فالكائنات هي الوجود في ظهوره وحضوره »[1]. ونلتمس من أبيات القصيدة أن هناك وحدة عميقة تجمع المقطع الأول والمقطع الأخير منهما.

من كل ما تقدم نستنتج أن مع بارمنيدس " ترتسم بجلاء معالم تيارين متعاكسين في الفكر الإغريقي، « من جهة الوضعية الأيونية الحدسية، التجريبية الجاهلة للرياضيات الفيزيقية. المعادية عداء سافرا للأساطير والتقاليد الدينية، والعبارات السرية الجديدة، وبالتالي البعيدة عن أن تكون شعبية... ومن جهة أخرى عقلانية بارمنيدس وفيتاغورس الساعية إلى بناء الوجود بالعقل، النازعة نحو الجدل، غير المتعاطفة مع تجربة المباشرة والمحبة لهذا السبب للأساطير في كل ما يتصل بالأشياء الحسية، والميالة إلى إيلاء مشكلة القدر اهتماما كبيرا والشعبية بطبيعة الحال والمالكة لحس الدعاية (propagande) »[2].

وهكذا فالسّمة البارزة لهذا الفكر تتمثّل في العقلانية من جهة والخيال الأسطوري من جهة أخرى.

---

**1- نجيب البلدي : دروس في تاريخ الفلسفة ، ص 27.**
**2- أميل برهييه : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 85.**